نعم سينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض فى آخر الزمان إن شاء الله ، ولن ينزل بشرع جديد وسيحكم بشريعة الإسلام ، ويكون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الشرائع ومحفوظة إلى قيام الساعة بحفظ الله للقرآن الكريم قال تعالى من سورة الحجر آية : 9
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فيكون عيسى بن مريم عليه السلام حاكماً من حكام هذه الأمة ومجدداً لأمر الإسلام إذ لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم لأن محمدا خاتم النبيين قال تعالى :
(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) الأحزاب : 40 .

الفصل الثالث

لماذا أرادوا قتل عيسى عليه السلام ؟ وهل رفع حيا أم ميتا ؟

****

لماذا أرادوا قتل عيسى عليه السلام ؟ ذكر ابن كثير عند قوله تعالى : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) قال : فإن الله لما بعث عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على النبوة وعلى المعجزات التي أكرمه الله بها ، فكذبوه وسَعَوْا في أذاه بكل ما أمكنهم ، حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه ، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وقالوا له : إن في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ، فغضب الملك وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يمسك به ، وأن يصلبه ، ويضع الشوك على رأسه ، ويكف أذاه عن الناس ، فذهب نائبه ومعه طائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام فحاصروه ، فلما أحس بهم قال لأصحابه : أيكم يُلقى عليه شبهي ويكون رفيقي في الجنة ؟ فقال شاب منهم : أنا ، فألقى الله عليه شبه عيسى ، وأخذت عيسى سِنةٌ من النوم فرفعه الله إلى السماء ، فلما رأوا ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه ، أماعيسى بن مريم فقد رفعه الله إليه بروحه وجسده ، وهو حي الآن في السماء ، فلم يقتل ولم يصلب قال تعالى : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) النساء : 157 : 158
وهل رفع حيا أم ميتا ؟ الجواب : لقد رُفع حيا ، ولا يجب إنكار هذا الأمر لأن إنكاره يثير الدهشة مع إنسان حدثت فى خلقه معجزة وهي : أن الله خلقه بدون أب ، وتكلم فى المهد ، ويعجب العاقل ممن ينكر ذلك الأمر فى وقت حقق العلم فيه أمورا تشبه المعجزات .
وهناك من البشر أيضا من رفع حيا يقظة دون منام ثم عاد إلى فراشه : يقول الشيخ الشعراوي : إن أمر الرفع في الإسلام مقبول شرعا وعقلا ، فقد رفع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعراج ودار حوار بينه وبين آدم عليه السلام ، وكذلك دار حوار بينه وبين موسى وبينه وبين إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الأنبياء ، وفرض الله على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته فريضة الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج ، ثم عاد إلينا مرة أخرة ليكمل رسالته لذلك نصدق أمر رفع عيسى عليه السلام ، وأنه سيعود مرة أخرى إلى الأرض .

ويوجد دليل علمي على معراجه فى اليقظة : هو قول الله تعالى : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) فالفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام : أن رؤية الشئ في اليقظة إدراكه بالبصر على الحقيقة ، وجميعنا يعلم ان السفر الى الفضاء ينتج عنه انعدام في الجاذبية فقد تنقص أو تزيد بسبب تسارع المركبة إما صعودا أوهبوطا...وهذا يعني أن رواد الفضاء يتعرضون لقوى جذب مضاعفة بسبب السرعة الكبيرة ، فيترتب عليه بما يسمى : الهلوسة الوقتية والخداع البصري بسبب انعدام الجاذبية التي بسببها يصاب رائد الفضاء بلوثة عقلية مؤقتة لدرجة أنه لايؤخذ كلامه على محمل الجد ، وفى أولى الرحلات التي رصدت عام 1963 لرائد الفضاء = جوردن كوبر = حيث زعم بأنه يرى مباني الأرض وهو في الفضاء ، وزعم أنه يرى أطفاله في الشارع وهو على ارتفاع 500,000 قدم وقد شخص الأطباء حالته بقولهم : إنه أصيب بهلوسة وخداع بصري نتيجة انعدام الجاذبية والإنخفاض الكبير في الضغط ، كما ثبت بصورة مماثلة عجز رائدي الفضاء = أرمسترونج ، والدرين = وهما أول من هبط على القمر أنهما عجزا عن تقدير المسافات والجداول الفلكية التي أعطيت لهما من الأرض ، وهذا إعجاز علمي للقرأن الكريم لأنه أقر تلك الحالة في قوله تعالى : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً **مِنَ** السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) والعجيب والمعجز أن تلك الحالة لم تصب النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج بدليل قوله تعالى : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) فقد نفى الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن هذه الحالة أصابت النبي صلى الله عليه وسلم أثناء المعراج .

وتوجد حقيقة أخرى تشهد لرفع عيسى عليه السلام حيا فقد أخبرربنا فى سورة الجن بأن الجن وصلوا إلى السماء ، واستمعوا لمن فى السماء فقال تعالى آيات 10:8

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)

إذا كانت هذه قدرة مخلوق فكيف بقدرة الخالق سبحانه وتعالى ؟ فعيسى عليه السلام رفعه الله إلى السماء وهو الآن حي فى السماء وسينزل آخر الزمان ، وسيكون نزوله علامة من علامات الساعة إن شاء الله ، وسنتحدث عن هذا فى الفصل الرابع إن شاء الله .

الفصل الرابع

عقيدة اليهود والنصارى فى نزول عيسى عليه السلام ـ نزوله من السماء إلى الأرض

****

عقيدة اليهود والنصارى فى نزول عيسى عليه السلام : فعيدة النصارى ثابتة فى عودة المسيح ابن مريم إلى الأرض في آخر الزمان ، وزاد النصارى على ذلك : أن اليهود الذين سيكونون قد تجمعوا في القدس قبل عودة المسيح عليه السلام سيدينون بالنصرانية هناك عند عودته .

ويعتقد النصارى أن هناك عدواً كافراً سيخرج قبيل عودة عيسى عليه السلام وسيكون من اليهود ، وأكثر أتباعه من اليهود ، ويؤمنون كذلك بأن عيسى بن مريم عليه السلام سينـزل في وجود الدجال فيقتله ليخلص العالم منه ومن اليهود أيضاً.

ونحن أهل الإسلام لا نشك في خروج الدجال وإن كنا لا نعلم موعده ، ولكن مقصودنا هنا التنبيه على أن اليهود والنصارى يستعدون لخروجه ، وهم الذين تكبروا عن الإيمان بمحمد سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ، وظلوا على ديانات مليئة بالكذب على الله ، والكذب على أنبياء الله لقول الله تعالى :

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) آل عمران : 187 .

فعقيدة أهل السنة والجماعة في عيسى بن مريم عليه السلام كالآتى :

1 ـ أنهم يؤمنون بعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء قال تعالى:

(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) النساء : 171

2 ـ أن الله تعالى رفعه إليه بروحه وجسده ، وأنه حي الآن في السماء ، فلم يقتل ولم يصلب قال تعالى :

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) النساء : 157 .

3 - سينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان والله أعلم متى نزوله روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ليُوشِكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكمًا عَدْلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المالُ حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السَّجْدة خيرًا من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبوهريرة : إقرءوا إن شئتم : (وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) .

4 ـ بين النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سينزل عند المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق كما جاء في البخاري وغيره لا كما يظنه النصارى بأنه سينزل عند البوابة الشرقية في القدس القديمة (الباب الذهبي) وقد وضعوا هناك آلة تصوير حية لنقل نزول المسيح عليه السلام للعالم كله .

5 - يكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق ، وتكون مجتمعة لقتال الدجال ، فينزل وقت إقامة صلاة الفجر يصلي خلف أمير تلك الطائفة .

6 ـ سيكون على يديه قتل الدجال فعندما يعلم الدجال بنزوله يهرب فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر مجموعة من المسلمين ، فيأمرهم عيسى بفتح الباب فيفعلون ويكون وراءه الدجال فينطلق هارباً فيلحقه نبي الله فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقضي عليه وعلى من معه من يهود ، وبعد أن يقضي على الدجال تخرج يأجوج ومأجوج فيفسدون في الأرض ، فيتضرع نبي الله إلى ربه فيهلكهم جميعا .

7- ولقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن مدة بقاء نبي الله عيسى عليه السلام في الأرض أربعون عاماً ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح .

أخي المسلم : إن اليهود والنصارى يتعجلون اليوم أمر الساعة أكثر من أي يوم مضى ، ولا ندري ما هي الأقدار المخبأة وراء تلك العجلة ؟ وإن أهل الإيمان يعلمون أن أمر الساعة شيء عظيم ، ولهذا فهم لا يتعجلونها ولا يتعجلون أماراتها لماذا ؟ لأنهم يخشون الإبتلاء والفتنة ، ولا يعرف أحدهم هل ينجو في أيام الفتن والملاحم

فيكون من المهتدين ، أم يسقط في الفتنة فيكون من الهالكين ، وما أهل الإيمان ، وأهل الكتاب والساعة إلا كما قال الله عز وجل : (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ) الشورى : 18 .

الأدلة على نزول عيسى بن مريم من السماء إلى الأرض على أنه علامة من علامات الساعة :

1- قال تعالى من سورة آل عمران آية : 55 (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فعبارة : (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) تثير الإنتباه فالقرآن الكريم يتحدث عن مجموعة من الناس ممّن سيكونون مؤمنين حقاً بسيدنا عيسى عليه السلام على أنه عبد الله ورسوله وسوف يكونون أقوى وأعلى من الكافرين إلى أن تقوم القيامة ، إذاً من هم هؤلاء ؟ هل هم الحواريون الذين عاصروا سيدنا عيسى عليه السلام ، أم هم النصارى الذين يعيشون الآن ؟ **الجواب :**

لقد كان أتباع عيسى عليه السلام أثناء حياته قليلين جداً ، وبعد رفعه إلى السماء بدأت عملية تحريف واسعة للدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام حتى اضطر الحواريون للعيش في جو يملؤه الإضطهاد والمصاعب لأنهم لم يكونوا يمتلكون قوة تدافع عنهم ، أما نصارى اليوم فلا يمكن أن تكون الآية تشير إليهم بأي حال ، فالمسيحية الحالية فقدت جوهرها الأصلي وتحولت إلى شيء مختلف تماماً عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام ، فنصارى اليوم يؤمنون بعقيدة التثليث (الأب - الإبن - والروح القدس) وبأن سيدنا عيسى عليه السلام بن الله ، وبناءً على هذا فإنه من غير المعقول القبول بمسيحيي اليوم على أنهم أتباع عيسى عليه السلام كما في الآية الكريم ، بهذا يتبين لنا أن عبارة : (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) تتحدث عن وجود جماعة تؤمن بسيدنا عيسى عليه السلام ، وستظل إلى يوم القيامة وهم على إيمانهم هذا...فهؤلاء الجماعة لن يكون لهم وجود إلا برجوعه إلى الأرض مرة أخرى حتى تتحقق فيهم هذه الآية : (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هؤلاء هم أتباعه الذين سيكونون فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .

2- قال تعالى من سورة النساء آية : 159 (وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) فعبارة : (إلا ليؤمنن به قبل موته) تدعو إلى التأمل والتفكير فالضمير المتصل في "به" وهو "الهاء" راجع إلى عيسى وهو أمر لا يحتاج إلى نقاش لماذا ؟ لأن الآية تتحدث عن عيسى عليه السلام في قوله تعالى : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) النساء 157- 159 .

أما الموضوع الآخر الذي سوف سنتناوله بالبحث فهو التفاسير المتعلقة بعبارة : (قَبْلَ مَوْتِهِ) الواردة في الآية فعند تناول الآية في معناها الحقيقي فسوف نكون إزاء عدة حقائق :

أولاً : من الواضح أن الآية تتحدث عن المستقبل فهي تتحدث عن موت سيدنا عيسى عليه السلام وهذا يعني : أنه لم يمت ، بل رفعه الله إليه ، وسوف يعود إلى الأرض مرة أخرى ، ويعيش ويموت كما هو الحال مع أي إنسان .

ثانياً : جميع أهل الكتاب سوف يؤمنون به قبل موته وهو أمر لم يتحقق بعد أيضاً ولهذا فإن الشخص الذي يرجع إليه الضمير المتصل (الهاء) في قبل موته إنما هو عيسى وسوف يراه أهل الكتاب ويؤمنون به ويطيعونه وهو حي وسوف يكون شاهداً عليهم يوم القيامة والله أعلم .

3- توجد آية أخرى تتحدث عن رجوع عيسى عليه السلام إلى الأرض ، وهي الآية الواحدة والستين من سورة الزخرف حيث يقول تعالى : (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) الزخرف :61 وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ) أي عيسى بن مريم لأن الآيات قبلها صرحت به فقال تعالى فى الآية رقم : 57 (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) ثم توالت الآيات حتى رقم : 61 من الواضح أن هذه الآية تشير إلى أن عيسى عليه السلام سوف يرجع مرة أخرى إلى الأرض في آخر الزمان فقد عاش قبل ستة قرون من نزول القرآن الكريم ولهذا فلا يمكننا القول بأن حياته الأولى هي التي سوف تكون علما (علامة) على قرب يوم القيامة. والآية تشير إلى أن عيسى سينزل إلى الأرض في آخر الزمان في الفترة التي تسبق القيامة وأن نزوله هذا سوف يكون علامة على قرب حدوثها والله أعلم .

4- هناك آيات أخرى تدل على أن عيسى عليه السلام سوف يظهر مرة ثانية ، فقد ذكرت كلمة : (كَهْلاً) في الآية : 46 من سورة آل عمران : (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) وكذلك في الآية : 110 من سورة المائدة يقول الله تعالى : (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) .

وهذه الكلمة لم تستعمل في القرآن الكريم سوى في هاتين الآيتين ، ولم تستعمل في وصف أحد غير عيسى عليه السلام ، فالكهولة تعني الفترة التي تلي الخامسة والثلاثين من العمر ، وقد رفع عيسى عليه السلام وهوابن ثلاث وثلاثين على الراجح ، وأنه سوف يعيش أربعين عاماً بعد رجوعه إلى الأرض ، وأن كهولة عيسى ستكون بعد رجوعه ، وهو القول المشهور في تفسير الطبري ، ولهذا يقول العلماء أن هذه الآية دليل على ظهوره مرة أخرى ، وكلمة : (كَهْلاً) لم تستعمل لنبي آخر غير عيسى عليه السلام فكل الأنبياء والرسل دعوا الناس إلى الدين ، وكلهم قاموا بواجبهم في الدعوة في أعمار متقدمة ، لكن لم يتم وصف أي : نبي بهذا الوصف سوى عيسى عليه السلام فهذه العبارات في القرآن الكريم لم تستعمل لغير عيسى عليه السلام فكونه تكلم (فِي الْمَهْدِ) وَفى (كَهْلاً) لجلب الانتباه إلى هاتين الفترتين من عمرالإنسان ، فتكلم عيسى وهو : في المهد معجزة وهذا أمر غير معهود ، كذلك من المحتمل أن تكون كلمة كَهْلاً - التي تعقبها - دليلا على معجزة أيضا ، إشارة إلى حدوث معجزتين في زمانين مختلفين الأول : هو تكلمه في المهد والثاني : تكلمه وقت كهولته بعد عودته الثانية إلى الأرض (والله أعلم) لكن بعض المفسرين يفسرون كلمة (كَهْلاً) بمعنى مخالف لمعناها الحقيقي وبشكل مخالف للمنطق العام للقرآن الكريم حيث يقول هؤلاء : إن الأنبياء أشخاص ناضجون وكاملون في جميع مراحل حياتهم وأن هذه العبارة تشمل الأنبياء في كامل حياتهم ، وبالتأكيد فإن الأنبياء أشخاص ناضجون وكاملون في جميع مراحل حياتهم لكن الله تعالى يقول في سورة الأحقاف أن سن النضوج هو الأربعين : (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الأحقاف 15 .

(كيف رفع سيدنا عيسى عليه السلام)

ذلك أن اليهود حين هموا بالفتك بعيسى عليه السلام تمالئوا عليه ، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافرا وأخبروه أن عندهم رجلا يضل الناس ، ويصدهم عن طاعة الملك ، وأنه ولد زانية ، حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذه وينكل به ويصلبه ، فلما أحاطوا به وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله من بينهم ورفعه من روزنة (طاقة أو كوة) ذلك البيت إلى السماء ، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل فلما دخل اليهود اعتقدوا في ظلمة الليل أن هذا الرجل هوعيسى عليه السلام ، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم ، إذ أنهم يعتقدون أنهم ظفروا به كما جاء في حديث رواه ابن أبي حاتم والنسائي من حديث ابن عباس موقوفاً عليه بسند صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة النساء قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج عيسى يوماً على أصحابه وهم يجلسون في البيت وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين ، فقال لهم نبي الله عيسى : إن منكم من يكفر بي بعد أن آمن بي ، ثم قال : أيكم يقبل أن يلقى عليه شبهي ليقتل مكاني ليكون معي في درجتي في الجنة ؟ فقام شاب من أحدثهم سناً قال : أنا يا نبي الله! فقال له عيسى : إجلس - كأنه أشفق عليه لصغر سنه - فجلس الشاب ثم قال عيسى مرة ثانية : أيكم يقبل أن يلقى عليه شبهي ليقتل مكاني ليكون معي في درجتي في الجنة ؟ فقام نفس الشاب ، فقال له نبي الله عيسى : إجلس ، قال عيسى مرة ثانية : فقام نفس الشاب ، فقال له عيسى : هو أنت ، يقول ابن عباس : فجاء الطلب أي : من اليهود ليأخذوا نبي الله عيسى ، فألقى الله شبهه على هذا الشاب ، وألقى على عيسى سنة من النوم ثم رفعه الله إليه ، فأخذ اليهود هذا الشاب الذي ألقي عليه الشبه فقتلوه وصلبوهقال تعالى : (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) النساء : 157 قال ابن عباس : فانقسم الناس فيه إلى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى قالت : كان فينا الله ، أي : في الأرض ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء هم اليعقوبية .

والفرقة الثانية قالت : كان فينا ابن الله ثم رفعه أبوه إلى السماء ، وهذه هي النسطورية .

والفرقة الثالثة قالت : كان فينا عبد الله ورسوله ، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم الموحدون المسلمون .

يقول ابن عباس : فقامت الفرقتان الأولى والثانية على الثالثة فقتلوا أهلها ، فظل الإسلام صامتاً حتى بعث الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فبين لنا كيف أن الله عز وجل قد ألقى الشبه على غيره كما صرح القرآن بذلك ، فالذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب لفي شك دائم من حقيقة أمره ، أي : في حيرة وتردد ، ليس عندهم علم ثابت قطعي في شأنه ، أو في شأن قتله ولكنهم لا يتبعون فيما يقولونه عنه إلا الظن الذي لا تثبت به حجة ولا يقوم عليه برهان ، وصدق ربنا فيقول :

(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) آل عمران : 54